صـــابرينا حبيب: رعاية أطفال في متناول اليد

صـابرينا حبيب: يتطلب الأمر بعضـا من الإيمان والثقة، لتعرف أنك تسـعى في الطريق الصـحيح، أن تدرك أن هذه مشكلة بحاجة إلى حل، وأن هناك ضرورة ملحة لما تفعله. ليس هناك وقت للانتظار. ولا لعواقب الانتظار. أعتقد أن هناك شـيئا يتراكم بداخلك ويقول إنه يجب عليك القيام بذلك ويجب أن تصدق هذا الصوت الداخلي.

راما شقاقي: هذه صابرينا حبيب المؤسسة المشاركة والرئيسة التنفيذية لشركة كيدوجو وضيفنا في حلقة اليوم. تعد شركة كيدوجو مؤسسة اجتماعية غير ربحية تعمل على تحسين الوصول إلى رعاية أطفال عالية الجودة وبأسعار معقولة في المجتمعات ذات الدخل المنخفض.

صـابرينا حبيب: يقع مقرنا في كينيا، نحن أكبر شـبكة رعاية أطفال في كينيا، ونسـتخدم نهج الامتياز الاجتماعي لتوفير التدريب والإرشاد وأدوات الدعم لتحسين جودة مراكز رعاية الأطفال غير الرسمية.

راما شـــقاقي: أنا راما شـــقاقي وأنتم تســـتمعون لأبدع بهدف، البودكاســـت الرســـمي لإكســـبو لايف، وهو أحد برامج دعم الابتكار في إكسبو 2020 دبي.

شارة المقدمة

راما شـــقاقي: عندما جلســـنا مع صـــابرينا، أخبرتنا من قبل أنه كان لديك خطط مختلفة لحياتك المهنية.

صابرينا حبيب: نعم أردت أن أصبح جراحة أعصاب. حيث كنت أعاني من الصرع في طفولتي وقضيت الكثير من الوقت في المستشفيات واعتقدت أن هذا هو مسار حياتي المهنية. لكنني دخلت مجال ريادة الأعمال صدفة.

راما شـقاقي: في عام 2011، كانت تتجول في إحدى الشـوارع العشـوائية في نيروبي عندما صادفت ما بدا أنه مركز لرعاية الأطفال.

صـابرينا حبيب: كان كوخا معدنيا مضـلعا تبلغ مسـاحته عشـرة أقدام. كان مظلما، ومكتظا وكانت رائحته فظيعة. لم يكن بهذه الأكواخ صرف صحي. وكدت أتعثر في طفلة صغيرة. وبينما كنت أميل لأحملها من الأرض وجدت 15 أو 20 أو أكثر من الأطفال الآخرين تتراوح أعمارهم بين صـفر وثلاث سنوات، كانوا جميعا مستيقظين، لكنهم صامتون تماما.

انتابني شعور غريب. شعرت فورا أن هذا ليس عدلا.

لقد فكرت أنه كان من الممكن أن أكون أنا من تعيش تلك الظروف، فأنتم تعلمون أن والداي وأجدادي ولدوا جميعا في شـرق إفريقيا. وفكرة أن حياة الطفل ومسـاره مرتبطة بالظروف التي ولد فيها ليست عادلة.

راما شـقاقي: هذه هي اللحظة التي ولدت فيها فكرة كيدوجو، كانت صـابرينا في ذلك الوقت تعمل في منظمة غير ربحية، وكانت منخرطة في مجال العمل الخيري بفاعلية لكنها كانت تعلم أن هناك الكثير لتتعلمه لأنها ولدت وعاشـت في كندا. كانت صـابرينا وشـريكها، الصـديق الذي أصـبح زوجا فيما بعد، شابين لا يملكان الخبرة.

صـابرينا حبيب: كنا مترددين في خوض التجربة، لأننا لم نرد أن نكون مثالا لعقلية البطل الخارق، أقصـد فكرة أن الناس في الغرب يعرفون كيف يحلون مشـاكل المجتمعات التي لم يترعرعوا فيها. أظن أن الحلول يجب أن تأتي من هذه المجتمعات المحلية نفسها.

لم أكن أعرف أي شيء عن رعاية الأطفال، كنا في منتصف العشرينات ولم يكن لدي أطفال ولم أستطيع حينها التفريق بين طفل يبلغ 4 سنوات وطفل يبلغ سنتين. أي أن معرفتنا في هذا المجال كانت قليلة.

ولأن ريادة الأعمال تبدأ عادة بالفضول، لذا تحدثنا إلى مجموعة كاملة من مسؤولي رعاية الأطفال لمعرفة ما هي النقاط التي يركزون عليها؟ ولماذا يقومون بهذا العمل؟ ما الذي يحفزهم؟ كيف تكون حياتهم وهم يعتنون بـــ 15 إلى 20 طفلا لمدة 10 إلى 12 ساعة في اليوم، كيف يتم ذلك؟ وما هي التحديات التي يواجهونها؟

ثم تحدثت إلى عشرات الأمهات لنسمع شكواهن، و ما الذي يعنيه أن يتركن أطفالهن للذهاب إلى العمل وهم لا يعرفون كيف سيجدون أطفالهن عند العودة.

راما شقاقي: ما الخطوة التالية بعد هذا الاستطلاع الأولي؟

صـابرينا حبيب: تعلمنا الكثير من الأشـياء و دوناها، وأجرينا كذلك دراسـة مرجعية على المسـتوى الدولي، لأننا توصلنا إلى أن ما يمثل تحديا في الأحياء الفقيرة في كينيا، سيمثل تحديا في الأحياء الفقيرة في الهند أو أمريكا اللاتينية. وهكذا توصـلنا إلى مجموعة كاملة من الحلول ثم قمنا بتعبئة تلك الحلول وقدمناها إلى المنظمات غير الربحية الكبيرة العاملة في كينيا لأننا اكتشـفنا مرة أخرى أننا لسنا الأشخاص المناسبين للقيام بهذا العمل.

وبعـد عـام أو عـام ونصـــف لم يحـدث شـــيء. وكنـا نعلم أن كـل يوم يمر على هؤلاء الأطفـال الصغار، تفوتهم فرصة لتحقيق كامل إمكاناتهم. ففكرنا لما لا؟ لماذا لا نقوم بالأمر بأنفسنا. وأمهلنا أنفسنا سنة لنجد طريقة لتنفيذ الأمر. وإن لم ننجح خلال سنة، فسنكون لنا شرف المحاولة.

موسيقى

صـابرينا حبيب: بدأنا بمبلغ مالي صـغير، ترك زوجي شـقته وقلل من نفقاته. واسـتخدمنا راتبه ومدخراته لمدة سـتة أشـهر لإطلاق مركزنا الأول وكان ذلك المركز الأول الذي سـاعدنا في التعلم

وقدمنا من خلاله مثالا للممولين على ما نرغب في تحقيقه. من الصعب بيع شيء فقط بالحديث عنه. فمن الأسهل عرضه على أرض الواقع.

راما شقاقي: لم يكن هدف كيدوجو أخذ مكان المراكز الموجودة. ما أرادوا القيام به هو تزويد النساء اللائي يشغلن هذه المراكز بالمهارات والدعم الذي من شأنه ضمان تقديم رعاية جيدة للأطفال و جني الأرباح في نفس الوقت.

صابرينا حبيب: تمحورت فكرتنا حول كيفية إضفاء الطابع المهني، لذا لقد قمنا بعصف ذهني، وفكرنا في أن نموذج منح حق استخدام العلامة التجارية يمكن أن يشكل خيارا جيدا بنفس الطريقة التي تذهب بها إلى ستاربكس أو إلى ماكدونالدز أو مكان ما، وتحصل على نفس مستوى الخدمات. لماذا لا نجرب ذلك في قطاع رعاية الأطفال؟

فكرنا في التواصل مع مقدمي خدمات رعاية الطفل هؤلاء، وفي تعريفهم بأنفسنا. لنعرض عليهم ما يمكننا فعله ونطلب منهم الانضمام إلى شبكتنا. وقد فعلنا ذلك لكنهم رفضوا.

راما شقاقي: ما سبب رفضهم؟

صابرينا حبيب: عدة أسباب منها أولها، تساؤلهم، من أنتم؟

ثانيا ليس هناك ما يعيب مركزي. لقد نشأت في مكان مثل هذا وكان كل شيء بخير

وخطر ببالنا حينها أن المرء إن لم يعرف معنى الجودة الحقيقية فلن يكون هناك ما يصبو لتحقيقه.

لذا قمنا بتغيير المسار في وقت مبكر وبدأنا نموذج "التوزيع المحوري". بمعنى أننا أسسنا مركزنا الخاص لرعاية الأطفال لنثبت وجهة نظرنا عن معنى الجودة في الرعاية.

وحين أسسنا أول مركز لنا في عام 2014، وبعدها بعدة أشهر في عام 2015، أطلقنا مركزا آخر في مجتمع مختلف. حينها جلبنا مقدمي خدمات رعاية الطفل أولئك إلى تلك المراكز وعرضنا عليهم الجودة التي كنا نتحدث عليها.

جاءوا بعدها إلى هذه المساحات ثم عادوا إلى مراكزهم وحاولوا استنساخها. وهذا ما كنا نسعى إليه من البداية، إطلاق الشرارة وتقديم الإلهام. أجل بالفعل كان أمامنا إمكانية تحقيق شيء أكبر من هذا.

راما شقاقي: حتى اليوم، قدمت كيدوجو أكثر من 5 آلاف ساعة تدريب وإرشاد في أكثر من 30 قرية، استفاد منها أكثر من 400 مقدمي خدمة رعاية الأطفال موزعين على شبكة تقارب الـ 450 مركزا لرعاية الطفل.

صابرينا حبيب: العمل الذي نقوم به ليس عاديا. الطريقة التقليدية المتبعة في الحضانات ومراكز رعاية الطفل هي فصول تحتوي على طاولات ودفاتر يجلس عليها أطفال يبلغون من العمر 3 سنوات ويحدقون طوال اليوم في سبورة معلقة على الحائط. ويتم كل شيء عبر الحفظ المجرد.

بينما نتبع نحن نهجا قائما على اللعب فيما نفعله. ليس هناك طاولات ودفاتر. لدينا زوايا للتعليم ومراكز للأنشطة. وكان من الصعب في البداية إقناع أولياء الأمور بمنهجنا في فعل الأشياء وبأن اللعب هو طريقة التعلم المفضلة للمخ البشري.

راما: لقياس مستوى أدائهم، أجرت كيدوجو بحثها الخاص، وأدركوا أنه داخل الفصول الدراسية، كان أطفال كيدوجو أكثر استقلالا من الأطفال الذين يحضرون في حضانات أخرى. هل يمكنك أن تخبرينا عن بعض النتائج التي توصلت لها الدراسة؟

صابرينا حبيب: أتذكر حين حصلنا على نتيجة البحث الذي أجريناه والذي يقارن بين الأطفال في كيدوجو والأطفال الذين التحقوا بمراكز أخرى وبين الأطفال الذين لم يلتحقوا بأية حضانات على الإطلاق.

شملت الدراسة الأطفال الذين تخرجوا من المرحلة الابتدائية. وأظهرت أن أطفالنا كانوا أفضل بنسبة 5% من الطلاب في فصولهم.

ينجزون أعمالهم بسرعة. ويسألون العديد من الأسئلة التي يحتار فيها الأساتذة لأنهم فضوليون للغاية. ويريدون دائما إنجاز أعمالهم والانطلاق لفعل أشياء أخرى.

حين رأيت أنا وزوجي هذه النتائج، ابتهجنا واحتفلنا سويا لأن هذه هي اللبنات الأساسية لنوع المواطنين الذي نريده، أليس كذلك؟ نريد أشخاصا قادرين على حل المشاكل. نريد مفكرين مبدعين. نريد أشخاصا فضوليين للمعرفة ولا يخشون من طرح الأسئلة. لذا كانت هذه النتائج مثيرة جدا بالنسبة لي.

راما شقاقي: لعبت منحة إكسبو لايف دورا أساسيا في رحلة كيدوجو. لم تسمح هذه المنحة للمنظمة بالنمو فحسب، بل ساعدت كيدوجو على تعزيز دورها في المجتمع باعتبارها مساحة تعلم موثوقة.

صابرينا حبيب: بدأ إكسبو لايف مشاركته في رحلة كيدوجو قبل عدة سنوات. كنا قد جربنا نموذجنا الاجتماعي في عدة أحياء، واستخدمنا المال للنمو والتوسع إلى مقاطعات وبلدات جديدة.

في الواقع حققنا أكبر نجاحاتنا في المراكز التي مولها إكسبو لايف.

استطعنا من خلال هذه التجربة أن نشرك الأمهات رائدات الأعمال معنا في برنامج مكثف مدته ثلاثة أشهر وحين يصلون إلى مستوى الجودة المطلوب، يتحولون إلى أحد فروع لكيدوجو. بحيث يكون بإمكانهم استعمال العلامة التجارية لكيدوجو. وهي إشارة للمجتمع بأن هذا مركز موثوق لأنه يحافظ على مستوى جودة معين. والمراكز التي مولها إكسبو لايف حظيت بأعلى معدلات نجاح، 80% منها ستصبح فروعا لكيدوجو. وأعتقد أن مشاركة إكسبو لايف كانت لحظة محورية في رحلة توسعنا. لذا نحن ممتنون لهذا التمويل.

أعتقد أن أهم شيء في ريادة الأعمال، هو أن يكون المرء إنسانا في عالم لم نعد نرى فيه سوى الأخبار السيئة. وأعتقد أن لقاءات إكسبو لايف الذي تعقد في دبي ستكون فرصة مناسبة للتواجد مع رواد الأعمال الآخرين الذين يحاولون حل مشاكل أخرى، سواء كانت متعلقة بالبيئة أو المناخ أو الفرص الاقتصادية أو مشاكل المياه والصرف الصحي والنظافة أو أي مشكلة اجتماعية، سنجد مبتكرا يحاول حلها.

موسيقى

صـابرينا حبيب: التواجد في مجتمع مثل هذا يبعث في المرء شـعورا بالأمل تجاه العالم، وبأنه لكل مشكلة نواجهها هناك مبتكر ورائد تغيير حول العالم يحاول حل تلك المشكلة.

راما شقاقي: شكرا لمشاركة قصتك صابرينا.

"نبتكر بهدف" هو البودكاسـت الرسـمي لإكسـبو لايف، أحد برامج الابتكار في إكسـبو 2020 دبي. يمكن للابتكار أن ينبع من أي مكان ومن أي شخص.

تعرف على المزيد من خلال زيارة الموقع expo2020dubai.com/expo-live.

"نبتكر بهدف" من إنتاج شبكة كيرنينغ كلتشرز.

تذاع حلقات البودكاسـت يومي الأحد والأربعاء من كل أسـبوع. تابعونا على منصـة البودكاسـت المفضـلة لديكم ولا تفوتوا أي حلقة. إن أعجبتكم الحلقة، شـاركوها مع أصـدقائكم واكتبوا لنا تعليقاتكم.